التــراث الآبائي الأرثوذكسي ١



باقة من رسائل القديس نيقولاوس الصربي

سلسلة التراث الآبائي الأرثوذكسي ١

باقة من رسائل القديس نيقولاوس الصربي

الجبل للنشر والتوزيع

التراث السلافي الأرثوذكسي

الكتاب : باقة من رسائل القديس نيقولاوس الصربي.

الكاتب : القديس نيقولاوس الصربي.

المترجم : عامر كامل خليل (هلسا).

الناشر : مكتبة الجبل للنشر والتوزيع .

الطبعة : الأولى ، ٢٠١٧.

رقم الإيداع : ٢٠١٧/١٨١٩

للطلب داخل جمهورية مصر العربية :

دار مجلة مرقص : ٢٨ شارع شبرا - ٢٥٧٧٠٦١٤ - ٠١٢٧٧٣٩٧٧٧٢

للطلب داخل المملكة الأردنية الهاشمية :

٠٠٩٦٢٧٩٦٥٠٠٣٣٢

للطلب داخل لبنان وسوريا :

٠٠٢٠١٢٧٧٣٩٧٧٧٢ - ٠٠٢٠١٠٠٥٨٧٧٩٢٢ - ٠٠٩٦١٣٦٠٣٧٨٣

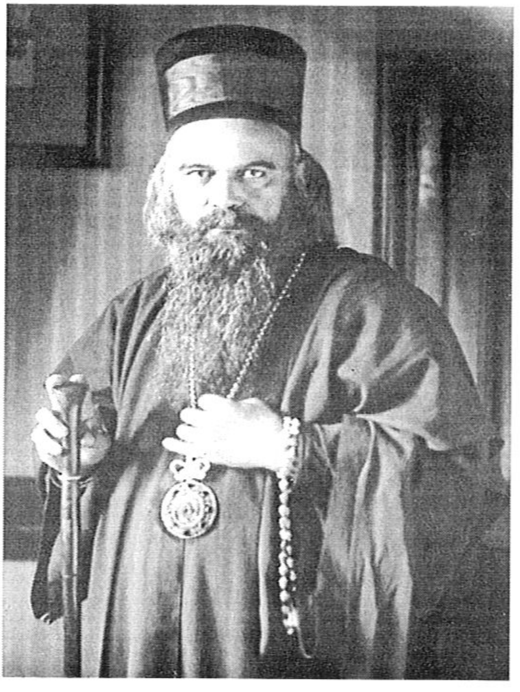
رسائل القديس نيقولاوس الصربي

ترجمة / عامر هلسا

مراجعة : الدكتورة / يوليا بيتروفا

الناشر : الجبل للنشر والتوزيع

دليل الكتاب



القديس البار نيقولاوس الصربي

رسالة إلى عامل طباعة مسنّ حول تقبيل يد الكاهن؟

القديس نيقولاوس الصربي

قد انتقل إلى الرب كاهنكم العجوز، وأُرسل إليكم باحث لاهوتي شابّ ليحلّ محله. كنتَ تقبّل يد الكاهن العجوز بفرح، ولكن لا يعجبك تقبيل يد كاهن أصغر منك سناً بكثير.

سأحكي لك قصّة عن الأمير ميلوش.

كان كاهن شابّ يقيم قداساً في كنيسة القصر بمدينة كراغوييفاتس بحضور الأمير ميلوش. كان الأمير العجوز متديناً للغاية. لم تكن الخدمة الكنسية تبدأ قبل أن يأتي. كان يقف في الكنيسة متجمِّداً في مكانه ويصلي إلى الله بانسحاق. عندما أكمل الكاهن الشاب الخدمة تقدّم بالصليب والقربانة إلى الأمير. تبارك الأمير من الصليب وأراد أن يقبّل يد الكاهن. ولكن الشاب سحب يده كأنه يخجل أنّ حاكم الدولة الذي في سنّ الوقار سيقبّل يده. نظر إليه الأمير ميلوش وقال:

"أعطني يدك! أنا لا أقبّل يدك أنت، بل أكرمُ رتبتك التي هي أكبر منك ومنّي".

أظنّ كل شيء هنا واضح. قال الأمير العجوز في الكنيسة آنذاك الكلمات الموحّى بها من اللّه.

فكّرْ بنفسك:

إذا كان كاهنك في الخامسة والعشرين من عمره، فرتبته عمرها حوالي ألفيْ سنة. عندما تقبّل يده فأنت تكرم رتبته التي سُلّمت من رسل المسيح إلى خدّام هيكل اللّه الكثيرين. وعندما تتبارك من رتبة الكاهن فأنت تأخذ بركة جميع القديسين الكبار والآباء الروحيين المستحقين الذين كانوا أصحاب هذه الرتبة من عصر الرسل إلى أيامنا هذه. بذلك أنت تقبّل يد **القديس نيقولاوس والقديس سابا والقديس باسيليوس** وغيرهم الكثيرين الذين كانوا على الأرض زينة للأرض، والآن هم في السماء زينة السماء، وهم الذين أُطلق عليهم "**ملاك أرضي وإنسان سماوي**". لذلك فإنّ تقبيل يد الكاهن ليس بقبلة عادية، ولكن بحسب قول بولس الرسول هي **قبلة مقدّسة**.

"سَلِّمُوا بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَةٍ. كَنَائِسُ الْمَسِيحِ تُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ"

(رسالةُ بُولُس الرسُول إلى أهل رُومية ١٦ :١٦)

إذاً ، قبّلْ اليد التي تبارك والرتبة التي قد باركها الروح القدس. تقبيل يد إنسان أصغر منّا سناً والاستماع إلى كلام إنسان أصغر مفيد لأنه يحمينا من التكبّر ويعلّمنا التواضع.

"تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ"

(إنجيل متى ١١ : ٢٩)

"تَسَرْبَلُوا بِالتَّوَاضُعِ، لأَنَّ اللهَ يُقَاوِمُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَمَّا الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً"

(رسالة بطرس الرسول الأولى ٥ : ٥)

سلام لك وفرح من الرب!.

(الرسائل التبشيرية، رسالة ١٥٨)

رسالة إلى موظف يسأل عن الأشياء الثلاثة الأهمّ؟

القديس نيقولاوس الصربي

قد طرحتَ عليَّ ثلاثة أسئلة، وهي:

ما هو الفكر الأعظم اللائق بالإنسان؟.

ما هو الاهتمام الرئيسي اللائق بالإنسان؟.

ما هو الانتظار الأكبر اللائق بالإنسان؟.

وها هي أجوبتي:

+ التأمّل في تدبير الله في حياة البشر هو أعظم فكر يليق بالإنسان.

+ الاهتمام بخلاص النفس هو الاهتمام الرئيسي اللائق بالإنسان.

+ انتظار الموت هو أكبر انتظار يليق بالإنسان.

+++

كيف يجب التأمّل في تدبير الله في حياة البشر؟.

يجب أن نتخذ الشريعة الإلهية الأخلاقية قياساً. وباستخدام هذا القياس يجب تحليل كلّ ما يحدث في حياة أقربائك ومعارفك. لا بدّ من التركيز الخاصّ على الأسباب

الأخلاقية لما يجري. ليس هذا سهلاً لأنّ الأسباب قد تكمن في ماضي الإنسان البعيد، بل يمكن إيجادها أحياناً في حياة والديه فقط. **يتأسّس سرّ الاعتراف الأرثوذكسي على اكتشاف مثل هذه الأسباب.**

قال مرتّل المزامير للرب:

"بوصاياك ألهج، وألاحظ سُبُلك" *(مزمور ١١٩: ١٥)*، أيْ أنني أحبّ ناموسك وأتذكره دائماً، لأنّ وصايا الربّ تشكّل أساساً لكلّ ما يحدث لنسل آدم. وصايا الربّ هي نور إلهيّ يضيء كل ما يجري في العالم.

+++

كيف يجب الاهتمام بخلاص النفس؟.

سأقول باختصار لكي لا أخوض في التفاصيل مجدداً:

اقرأوا الإنجيل واسألوا الكنيسة.

ليس للإنسان كنز أغلى من نفسه. والشيء الوحيد الذي هو قادر على إنقاذه من الهلاك والموت هو هذا **الكنز الأثمن.** كل الأشياء الأخرى التي يحتفظ بها الإنسان ويقيّمها لا تتبع للنفس، فستضيع وتموت حتماً. النفس البشرية في عينيْ الربّ أكبر قيمة من أثمن كنز للعالم المادّي، ولذلك يقول:

"ماذا ينتفعُ الإنسانُ لو ربح العالم كلهُ وخسر نفسهُ؟" .

(إنجيل متى ١٦ : ٢٦).

إذاً، لا يمكن أن يكون للإنسان اهتمام أكبر من اهتمامه بخلاص نفسه.

"لاَ تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا عَلَى الأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ السُّوسُ وَالصَّدَأُ، وَحَيْثُ يَنْقُبُ السَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ. بَلِ اكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزًا فِي السَّمَاءِ، حَيْثُ لاَ يُفْسِدُ سُوسٌ وَلاَ صَدَأٌ، وَحَيْثُ لاَ يَنْقُبُ سَارِقُونَ وَلاَ يَسْرِقُونَ، لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا."

(إنجيل متى ٦ : ١٩- ٢١)

+++

كيف يجب انتظار الموت؟.

كما ينتظر الجندي في الحرب، أو كتلميذ قد اجتهد في الاستعداد للإجابة على الدرس منتظراً أن يستدعيه المعلّم إلى السبّورة. قد ذكّرنا المخلّص بأنه يجب علينا أن نتذكر دائماً عن ساعة موتنا من خلال **مثل الغني الغبي** الذي أقام مخازن جديدة واستعدّ للتمتع بالخيرات على الأرض طويلاً، وإذا به يسمع إعلاناً:

"يا غبي، هذه الليلة تُطلب نفسك منك، فهذه التي أعددتها لمن تكون؟".

"فَقَالَ لَهُ اللهُ: يَا غَبِيُّ! هذِهِ اللَّيْلَةَ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ، فَهذِهِ الَّتِي أَعْدَدْتَهَا لِمَنْ تَكُونُ؟".

(إنجيل لوقا ١٢ : ٢٠)

+++

لماذا يُعتبر الفكر عن تدبير الله في مصائر الناس أعظم فكر يليق بالإنسان؟.

لأنه يمنحه الحكمة والطوبى.

لماذا يكون الاهتمام بخلاص النفس هو الاهتمام الرئيسي اللائق بالإنسان؟.

النفس هي أكبر كنز على الأرض، ولذلك من الطبيعي جداً أنّ الكنز الأكبر يتلقى الاهتمام الأكبر.

لماذا يُعتبر انتظار الموت أكبر انتظار يليق بالإنسان؟.

لأن انتظار الموت ينقّي الضمير ويحثّ الإنسان على صنع الأعمال الصالحة. عندما سئل ذات مرّة رجل طيّب مجتهد في عمله ومشارك في الأعمال الخيرية ما الذي كان يحفزه في

حياته أكثر من غيره على العمل وأعمال الرحمة فأجاب:

"الموت".

هذه الأسئلة الثلاثة لا تخصّ الحيوانات وهي من صفات الإنسان فقط، بل الإنسان من النوع الأسمى. أمّا باقي الأمور فلا تختلف عند الناس وعند الحيوانات.

سلام لك وبركة من الربّ!.

(الرسائل التبشيرية، رسالة ٦٥)

رسالة إلى سائق قطار يشكو من عمله الملّ؟

القديس نيقولاوس الصربي

أنت تشكو أنك مللت من عملك. جميع الأعمال الأخرى تبدو لك أكثر تشويقاً، وأنت متحيّر ومكتئب لأنك لا تستطيع أن تجد لك عملاً أحسن.

كنتُ أفكّر طويلاً قبل أن آخذ القلم لأجيب لك. كنت أحاول أن أضع نفسي مكانك في فكري وأن ألعب دورك. كنت أتخيّل نفسي في مكانك في كابينة القاطرة، وسط صلصلة الآلات وصوت العجلات. كنت أنظر إلى الأمام بنشاط، وأنا عرقان وملطخ بالسناج. وراء ظهري ناس كثيرون بل شعب بكامله: **الشيوخ والآباء مع الأطفال، الأمراء، الدبلوماسيون، الموظفون، الفلاحون، العمّال**.. كلهم صاروا مترابطين ببعضهم البعض بحكم الظروف، وكلهم يعتمدون عليّ. بعضهم يتبادلون الكلام، بعضهم مستغرقون في أفكارهم، وكل واحد يتطلع في فكره إلى محطته المقصودة. **ولكن هل سيبلغ محطته؟**

هذا يعتمد عليّ، وأما أنا فأعتمد على الله وحده. لا يتخيّل الركاب مدى اعتمادهم عليّ، هم لا يفكرون بي

ولا يعرفونني، وهذا يفرحني. عندما كان القطار على وشك الانطلاق لم يتقدّم أحد لينظر إليّ أو يتعرّف عليّ. لم يسأل أحد:

"ماذا لو كان سائق قطارنا مجنوناً، أو سكران، أو أعمى؟ فهو اؤتمن على حياتنا! إنه أهمّ شخص في هذه المدينة الراكضة قمصاً التي صرنا سكاناً فيها لبعض الوقت".

لم تخطر مثل هذه الأفكار على بال أحد، وهذا يسبّب لي فرحاً كبيراً. يسرّني أنّ كل هذا العدد من الناس اؤتمنتُ على حياتهم أنا، الإنسان الغريب عليهم المخفي في جوف الماكينة. وصرت أشكر الرب وأنا أرتعد فرحاً:

"أيها الإله العظيم العجيب! المجد والحمد لك لأنك وهبتني الحياة والعقل وهذا العمل المهمّ! قد أعطيتني عملاً يشبه عملك، لأنك أنت يا ربّ مستور وغير مرئي وغير مدرك وتدير آلة هذا العالم بروحك القدوس. آلتك ضخمة وركابك لا يُحصى عددهم. أنت سائق قطار كل العالم. الكثيرون من المسافرين لا يفكرون فيك ولا يتأمّلون في سرّ وجودك، بل يركبون قطارك بثقة ويسافرون، ممّا يثير فرحاً كبيراً لديك. أنت تعلم أين تريح ركابك وأين تطعمهم

وأين تنزل من يجب إنزاله. بصــراحة، هـم لا يعرفون إلا قليلاً عــن تـلك المحــطـة النـهـائية الـــرائعة التــي يسـعى نحــوها قطارك العجيب، ولـكنهم يدخلونـه ويركبونـه بثقـة وينزلـون منه بثقة. هم يثقون بك أنت المستور والغير مرئي والغير مدرك! أشـكرك ألـف مـرّة وأسـجد لـك يا خـالقي الـكاشـف الـكل والـكلـي القـدرة وسـائق قطـاري. أتـكـل عليـك وحـدك عنـد جميع الأخطار المحدقة بقطاري هذا. أنت وحدك قادر على أن تساعدني في توصيله إلى المحطة النهائية دون أن يضيع راكب واحد".

يا صديقي الشـاب، أيّ عمل أحسن تطلب؟ هل هنـاك عمل أحســن مـن عملـك؟ بطـرس الرسـول كـان يصـيد السـمك، وبولس الرسول كان يصنع الحصائر. فكـّرْ كـم عملـك أهـمّ وأكثر تشويقاً من عملهما واشكرْ التدبير الإلهي الذي منحك هذا العمل بالذات.

أرجو لك صحّة وبركة من الربّ!.

(الرسائل التبشيرية، رسالة ٤٥)

رسالة إلى أسرة تقية تسأل: كيف قام المسيح؟

القديس نيقولاوس الصربي

ألا يكفينا أن نعرف أنه قام؟.

لماذا نعذب أنفسنا بسؤال: **كيف قام؟**. ولكن، بما أنكم يا أحبّائي تسألون عن ذلك من باب المحبّة والتعجّب وليس من باب الشكّ، **سؤالكم غالٍ عليّ**.

كما أنّ الشمس تشرق فجأة في آسيا ويبدل النهار الليل، كما أنّ النور يضيء في لحظة غرفة مظلمة إثر لمس الزرّ الكهربائي، هكذا كانت قيامة الربّ:

بلا صوت وفي لحظة.

هل تعودون تسألون بفضول:

كيف؟.

أظنّ أنّ ذلك كان مثلما ظهر النور وسط الظلمة في بدء الخليقة. يتساءل الناس الغير المتنوّرين:

أيّ مصنع ضخم يجب أن يزوّد كل العالم بالضوء؟.

أيّة آلاتٍ عظيمة لا بدّ لهذا المصنع؟.

كم مليوناً من القوة الحصانية وقوة الفيل لا بدّ لهذا المصنع لتشغيل هذه الآلات؟.

وكم مليوناً من السنوات كان يجب أن تعمل لكي يشتعل الضوء أخيراً؟.

لا مصنع، لا آلة، لا ملايين من السنوات، لا جهد على الإطلاق، بل **كلمة** واحدة كلية القدرة – فظهر النور وملأ العالم كله. وقال الله: ***"ليكن نور"، فكان نورٌ (تك ١ : ٣).*** لم يقلْ الكلمة لتُسمع، بل فكّر في ذلك فقط، لأنّ فكر الله هو مثل كلمته، أيْ أنّ الله فكّر: **ليكن نور، فكان نور. بلا صوت وفي لحظة.**

هكذا كانت قيامة المسيح، وهكذا ظهر نور العهد الجديد الذي أنار لذوي العقل العالم الروحاني. وكما أنّ النور المنظور للمسكونة كشف للأبصار العالم المادّي، هكذا كشف نور المسيح لكلّ العاقلين العالم الروحاني ووطن الملائكة الغير المائتين. لذلك النور الحسّي ليس أسطع من النور الروحانيّ، وكلّ منهما ظهر بلا صوت وفي لحظة بإرادة الخالق الكلية القدرة وبرحمته ومحبّته التي لا يُنطق بها.

قد سمعتم بأيّة سهولة وبأيّة سرعة عجيبة يؤلّف الناس الموهوبون مؤلّفاتهم العبقريّة. **أفليس بالحريّ جداً يصنع مانح**

كلّ المواهب وخالق كلّ العباقرة؟. ألم تقرأوا بأيّة سهولة وسرعة أقام الربّ ابنة يايرس وابن أرملة نايين، وأيضاً لعازر في بيت عنيا؟ قال كلمة فتحققت! لأنّ عند الله كلّ شيء مستطاع: ما يقوله وما يفكّر فيه.

هكذا أقام المسيح نفسه أيضاً، بل أسرع وأسهل، وبلا كلمة.

والآن أرجوكم يا أبنائي الأحبّاء، إذا كنتم قد عرفتم أنّ الرب قام، اهتمّوا أكثر بأن تُؤهّلوا للقيامة، لكي يقيمكم هو أيضاً. لأنه قام لأجلكم، ليشهد بنفسه لقيامتكم وتشبّهكم به في المجد والبهاء الأبدي.

فاسجدوا للربّ القائم من الأموات وسبّحوا له تسبحة السَحر:

لقيامتك أيها المسيح مخلّصنا، الملائكة في السماء يسبحون، فأهّلنا نحن الذين على الأرض أيضاً أن نمجّدك بقلوبٍ نقية.

(الرسائل التبشيرية، رسالة ٢٤)

رسالة إلى أصدقاء يسألون: من يشهد لي بقيامة المسيح؟
القديس نيقولاوس الصربي

يشـهد لي بذلك أولاً ضـميري، ثمّ عـقـلي وإرادتي.

+ *يقول لي ضميري:*

لم يكـن مـن الممكـن بعـد آلام الـربّ العظيمـة لأجـل خـير البشر وخلاصه أن يكون هناك جزاء آخر غير القيامة والمجد السماوي. تكلّلت آلام البارّ الغير الموصوفة بمجدٍ لا يُنطق به. وهذا يعطينا تعزية وسلاماً.

يقول لي عقلي:

لـو لا انتصـار القيامـة المتـألق لبقـي جهـاد ابـن الله في القـبر ولكانت رسالته بلا فائدة.

تقول لي إرادتي:

قيامـة المسيح تنقـذني مـن الـتردّد بـين الخـير والشـرّ وهـي تـوجّهني إلى طريـق الخـير حتمـاً وتـنير طريقـي هـذا وتمـنحني القوة والإلهام.

وإضافة إلى هذه الأصوات الداخلية الثلاثة التي تشهد لي بهذا الشيء، **يوجد شهود صادقون من الخارج:**

+ النساء الحاملات الطيب القدّيسات.

+ الرسل العظماء الاثنا عشر.

+ أكثر من خمسمئة شاهد آخر (١كو ١٥: ٦)، أيْ كلّ الذين بعد قيامة الربّ رأوه وسمعوه، ليس في المنام، بل في اليقظة وليس لحظة واحدة، بل على مدى أربعين يوماً.

+ يشهد لي **شاول** اليهودي الناريّ مضطهد المسيحيين بأنه رأى الربّ القائم من الأموات وسمع صوته ونفّذ أمره، حتى أنه بعد مرور ثلاثين سنة أبى أن يتخلى عن شهادته وسيف **نيرون** نازل على رأسه.

+ يشهد القديس **بروكوبيوس** القائد الروماني الذي انطلق ليحارب المسيحيين في الشرق، ولكن الربّ يسوع المسيح ظهر له في الطريق وأرجعه إلى الإيمان به. فبدلاً من قتل المسيحيين سلّم نفسه طوعاً للقتل من أجل المسيح.

+ يشهد آلاف شهداء المسيح الذين اعترفوا به على مدى قرون في السجون وعلى النطوع، ابتداءً من **شهداء أورشليم** إلى **شهداء البلقان والشهداء الجدد الروس**.

+ يشهد لي بذلك كلّ الأبرار الذين كثيراً ما ألقاهم في الحياة، وهم يشهدون بالفرح عند سماعهم عن قيامة المسيح

من الأموات. هذه البشارة تتماشى وضميرهم، وتهزّ نفوسهم وتُبهج قلوبهم.

+ **وأقبلُ أيضاً شهادة من الخطاة ومن كارهي المسيح**، لأنّ إنكارهم للقيامة يثبت لي العكس. تنظر المحكمة العلمانية في شهادات الشهود وتقدّر قيمتها بناء على درجة صِدقهم. عندما يؤكّد الشهود القديسون والأطهار على أنهم يعرفون عن قيامة المسيح، أنا أقبل شهادتهم بفرح كشهادة حقيقيّة. عندما ينكر الناس الغير الأنقياء والأشرار والخطاة قيامته، فإنهم يثبتون شهادة الأوائل ويقوّون يقيني بحقيقة قيامة ربّي. لأنهم لا ينكرونها من باب المعرفة، بل من باب الحقد.

+ يشهد كثير من القبائل والشعوب التي قامت من الوثنية إلى التنوّر، من العبودية إلى الحرّية، من مستنقع عدم الأخلاق وتعكّر العقل إلى نور أبناء الله.

+ وتشهد لي قيامة الشعب الصربي بقيامة المسيح أيضاً.

+ حتى كلمات "**القيامة من بين الأموات**" تشهد لي بهذا، لأنه لولا قيامة المسيح لما كانت هذه الكلمة موجودة في لغة البشر. عندما نطق الرسول بولس هذه الكلمات في أثينا

لأوّل مـــرة، كـــان أهلــها البـــارعون في العلــوم مســـتغربين ومتحيّرين *(أع ١٧ : ٣٢)*.

"وَلَمَّا سَمِعُوا بِالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ كَانَ الْبَعْضُ يَسْتَهْزِئُونَ، وَالْبَعْضُ يَقُولُونَ: سَنَسْمَعُ مِنْكَ عَنْ هذَا أَيْضًا."

أهنـّئكم يا أبناء الله وأحييكم قائلاً: حقاً قام المسيح!.

(الرسائل التبشيرية، رسالة ٢٧)

رسالة إلى قارئ غيور للكتاب المقدّس يسأل لماذا حلّ الروح القدس على شكل نار؟

القديس نيقولاوس الصربي

عندما اعتمد الرب في الأردن ظهر الروح بهيئة حمامة. حلّ الروح القدس ليس ليكمل شيئاً في المسيح بل ليُشير رمزياً إلى ما يمتلكه المسيح أيْ البراءة والطهارة والوداعة. هذا ما ترمز إليه الحمامة.

" حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ الْجَلِيلِ إِلَى الأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ.فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَاوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ".

(إنجيل متى ٣ :١٣- ١٧)

وعندما اجتمع الرسل في اليوم الخمسين لقيامة المسيح ظهر **الروح القدس** لهم على **هيئة نار**. ظهر لكي ينزع منهم أشياء ولكي يهبهم أشياء أخرى:

لكي ينزع

الخطيئة و الضعف و الخوف و نجاسة القلب .

ولكي يهبهم

القوة و النور و الحرارة .

إنّ النار ترمز إلى هذه الثلاثية :

القـوة والنـور والحـرارة.

أنت تعرف كم هي النار قوية وكيف تنير وكيف تمنح الدفء، لكن عندما تتكلّم عن الروح القدس إياك أن تتخيّل ذلك مادياً وليس روحياً. وهكذا فإن الحديث هنا عن **القوة الروحية والنور الروحي والحرارة الروحية**، والتي في جوهرها هي **قوة الإرادة ونور المعرفة وحرارة المحبّة.** فبهذه الأسلحة الروحية سلّح الروح القدس جُند المسيح ضدّ هذا العالم، **لأن معلّمهم كان قد منع عليهم أيّ سلاح مادّي حتى العصا.**

لماذا انسكب لهيب النار على رؤوس الرسل على شكل ألسنة؟.

+ لأنه كان يجب على الرسل أن يبشروا بلسانهم الشعوب بالبشارة المفرحة **وهي بشارة الحق والحياة وتعاليم التوبة والغفران.**

+ كان عليهم أن يعلّموا بالكلمة

+ وأن يشفوا المرضى بالكلمة

+ وأن يعزّوا بالكلمة

+ وأن ينصحوا ويقودوا بالكلمة

+ وأن يؤسسوا الكنيسة بالكلمة

+ وأخيراً أن يدافعوا عن أنفسهم بالكلمة.

لأن معلّمهم أوصاهم ونبّههم بألا يخافوا من مضطهديهم ولا يهتمّوا بما يجيبون في المحاكم،

" لأن لستم أنتم المتكلمين بل الروح القدس"

(إنجيل مرقص ١٣ : ١١).

وهل كان من الممكن الإعلان بلغة بشرية عادية عن أعظم بُشرى مفرحة بلغت آذان البشر؟ وهي البُشرى بأن الرب الإله ظهر على الأرض وفتح للبشر أبواب الخلود؟.

وهل كان من الممكن أن يخرج من الإنسان ومن طبيعته البشرية المائتة بلسم مُحيي يقدر أن يُسكب على الجسد الميت للإمبراطورية الرومانية والعالم؟.

كلا، أبداً. ليس إلا من الروح الإلهي الناري الذي بأفواه

الرسل القديسين نثر الشرارات السماوية وسط ظلام الأرض.

لكن، أنت يا ابن الإنسان، ألم تشعر يا ترى في يوم من الأيام بحضور روح الله في داخلك؟. ها أنت أيضاً معمّد بالروح والماء. ألم تباغتك أبداً فكرة سامية منيرة تشرق لك وهي كلمة غير منطوقة من روح الله؟. أتُرى لم يخفق قلبك أبداً بحبّ الخالق فجأة كهبّوب الريح، أوَلم تدمع عيناك بسبب هذا الحبّ؟.

سلّم نفسك لمشيئة الله وأنصِتْ إلى ما يتمّ في داخلك فستدرك أعجوبة يوم الخمسين التي حصلت مع الرسل.

لك السلام والتعزية من الروح القدس.

(الرسائل التبشيرية، رسالة ٤٢)

رسالة إلى كاتب يسأل ما يمكننا أن نعمل من أجل سلام العالم في هذه السنة؟

القديس نيقولاوس الصربي

في رسالتك الموسّعة أنت تفضّلت بنفسك بإعطاء جواب على السؤال المطروح وهو جواب أستطيع فهمه بسهولة ولكن من الصعب الموافقة عليه. أنت تقول: **لا حاجة إلى اجتماعات وزراء الدول المختلفة حول شؤون السلام في العالم، بل ليختر الشعب في كل دولة عدة ممثّلين ينظرون في شؤون السلام.**

أنت تزعم بأنه في هذه الحالة سيتجنب العالم الحروب وسيحلّ السلام المستقرّ بين الشعوب. ولكنني أسألك: **من الذي سيشرف على الانتخابات، أليس هم الوزراء أنفسهم؟** وبالتالي، **من الذي سيتمّ انتخابه، أليس نفس الوزراء وأنصارهم؟.**

لو قلتَ: ليدعوا كاهناً ليقدّس الماء في المكان حيث سيتمّ النظر في شؤون السلام ويرشم إشارة الصليب على حيطانه ويبخّر المكان فبعد كل هذا يقدمون على المباحثات والتشاورات – عندئذ لَقبلَ شعب الله اقتراحك كنداء مبرّر إلى الخالق الكلي القدرة (ولعله اقتراح ليس في مكانه في نظر رجال السياسة الصانعي السلام).

ولكن، أليس من الأفضل أن نترك كل إنسان عاقل أن يعمل ما يعلّمه ضميره، وأما أنا وأنت وغيرنا الكثيرون الذين لا ينتخبون ولا يُنتخبون، فلنتساءل: **ما الذي نقدر نحن على عمله من أجل السلام المبارك بين البشر في هذه السنة؟.**

إذا طرحنا السؤال بهذه الطريقة، فسأعود إلى ما يدخل به كاهن أرثوذكسي إلى كل بيت مسيحي وهو **الماء والصليب والبخور**.

+ الماء هو الدموع.

+ الصليب هو الإيمان.

+ البخور هو الصلاة.

لنغتسل بالدموع عن خطايا السنة الماضية، لنحيي نفوسنا بالإيمان ونوجّهها نحو السماء المقدّسة ولنتضرّع بالصلاة إلى الرب من أجل كل ما هو ضروري لنا ولإخوتنا الساكنين في هذا الكوكب، أيِ السلام المبارك بين الناس.

أنت تعلم أنّ الحنطة المزروعة في السنة الماضية ستنمو وتصنع ثمراً في هذه السنة. هكذا شرّنا كله المزروع في السنة الماضية سيطلع ويصنع ثمراً وهو ثمر ملعون إنْ لم نستأصل الزرع الشرير ونزرع الزرع الجيد مكانه. فحاشا أن

تكون السنة الجديدة مثل السنة المنصرمة أو حتى أسوأ منها! **أمّا استئصال الزرع الشرير وزرع الزرع الجيّد الروحي فاسمه التوبة.** التوبة هي بدء كلام الإنجيل. **"توبوا"** هي الكلمة الأولى **لنبيّ الأردن الصموت يوحنا المعمدان** .

"توبوا وآمنوا بالإنجيل"

هي عظة المسيح الأولى، ولم يكشف المسيح لتلاميذه تعليمه السرّي حول السلام إلا بعد إرشادهم في كل الفضائل لمدة ثلاث سنوات، حيث قال:

"قد كلّمتكم بهذا ليكون لكم فيّ سلام"

(إنجيل يوحنا ١٦ : ٣٣).

"سلاماً أترك لكم، سلامي أعطيكم"

(إنجيل يوحنا ١٤ : ٢٧).

ومعنى هذا أنّ السلام هو هبة الله ويأتي من الله وأنه يُمنح كإكليل وثمرة لجهود أخلاقية كثيرة وفضائل في أعلى السلّم الذي تشكّل التوبة أوّل عتبة فيه.

السلام داخل الإنسان، ومن ثمّ السلام بين البشر. **لو لم يكن الإنجيل قد كشف ذلك، من كان سيعرف بهذا؟.**

السلام مع الله أولاً ، ومن ثمّ السلام مع الناس.

من الواضح أنّ السلام لن يحلّ إذا كان الإنسان ينظر إلى إنسان آخر ليس من خلال المسيح، بل من خلال الهواء. كما يتضح أن كل إنسان حيّ يمكنه أن يساهم في إحلال السلام وأن يكون مشاركاً في مؤتمر السلام دون أن يغادر مكانه ولا يعرفه أحد إلا الله.

فليمنحنا التدبير الإلهي أكبر عدد ممكن من هؤلاء المشاركين الخفيّين في شأن السلام بين جميع أبناء الله المنحدرين من أب واحد على الأرض ولهم آب واحد في السموات.

الرسائل التبشيرية (رسالة ١١٢)

رسالة إلى امرأة وحيدة في عيد ميلاد المسيح؟

القديس نيقولاوس الصربي

أنت تشكين من الوحدة في المدينة الكبيرة: بالرغم من كثرة الناس حولك كما في خلية النحل فأنت تشعرين وكأنك في البرّية. وأيام الأعياد هي الأكثر صعوبة، كل شيء من حولك يتلألأ فرحاً، أمّا قلبك فيعتصره الغمّ والحسرة. أعياد الميلاد والفصح بالنسبة لك هما مثل الوعاء الفارغ الذي تملئينه بالدموع. بعد انتهاء العيد وفي الأيام العادية أنت تكونين أكثر هدوءاً، ولكن كلما اقترب العيد القادم وأجواؤه التحضيرية كلما امتلأت نفسك حسرة وفراغاً.

بماذا أساعدك؟.

سأروي لك قصّة عن عيد الميلاد كنت قد سمعتها من الأخت يوفانكا، فقد تعينك هذه القصّة. سأرويها لك على لسانها كما روتها هي لي.

ها أنا أعيش وحيدة لأكثر من أربعين سنة، لم أعرف في حياتي طعم الفرح إلا في سنوات طفولتي في بيت أهلي. ولكن لم يرَني أحد حزينة، فأنا كنت أظهر أمام الناس دائماً مرحة وفرحة ولكن عندما كنت أبقى وحدي كنت أجهش بالبكاء. الجميع كانوا يظنونني سعيدة لأنهم

لم يروني في حالة أخرى. كنت أستمع من الناس المحيطين بي الشكاوي: من المتزوّجين ومن العُزّاب ومن الفقراء والأغنياء، من الجميع. وكنت أفكر وأقول لنفسي:

لماذا أشتكي أنا تعاستي للتعساء وأزيد الأحزان من حولي؟.

من الأفضل أن أظهر مرحة، لعلّني أقدّم فائدة أكثر لهذا العالم الحزين من حولي، وسأخفي سرّي عن الناس وسأبكي لوحدي في الخفاء.

صلّيت لله لكي يُظهر ذاته لي لكي يعطيني ولو علامة صغيرة "**بإصبعه**"، صليت من أجل أن لا أهلك في حزني الخفيّ. كنت أصنع صدقات من كل دخلٍ يأتيني، كنت أزور المرضى والفقراء وكنت بمظهري المرح أجلب لهم الفرح. كنت أقول دائماً:

"أنا أؤمن بك يا إلهي الخيّر ولكن أرجوك بأن تظهر لي كما تريد أنت لكي يتقوّى إيماني. أؤمن يا رب فأعنْ عدم إيماني".

وكنت أكرّر هذه الصلاة الإنجيلية، وبالفعل ظهر لي الربّ.

كان حزني وغمّي يزداد في الأعياد الكبيرة خاصّة، فبعد القداس الإلهي كنت أعود إلى البيت وأغلق على نفسي وأبكي طوال اليوم، في عيد الميلاد كما في عيد الفصح. ولكن في عيد الميلاد الماضي ظهر لي الرب، وكان هذا كالتالي:

اقترب يوم العيد وقرّرت أن أحضّر للعيد كل شيء كنت قد تعلمته من أمّي. ففرشت أرض البيت بالقش ووضعت في كل زاوية في البيت ثلاث حبّات من الجوز من أجل أن تكون رحمة الثالوث القدّوس في أطراف الأرض الأربعة. وكنت أثناء تحضيري للعيد أصلي بلا انقطاع :

"يا ربّ أرسلْ لي في العيد ضيوفاً ولكن ليكونوا فقراء جداً وجوعى، أرجوك يا رب إظهر لي على هيئة فقراء مُعدمين". في بعض الأحيان كان يأتيني هاجس:

"أيتها المجنونة يوفانكا، أي ضيوف تنتظرين في عيد الميلاد! هذا يوم مقدّس والجميع يستقبلونه في بيوتهم ومع ذويهم، فمن الذي سيزورك؟".

ومن جديد كنت أبكي وأبكي وأردّد الصلاة وأحضّر الطعام وأبكي.

وعندما رجعت من الكنيسة بعد نهاية قداس الميلاد دخلت البيت وأشعلت شمعة ووضعت على المائدة أصناف الطعام وحلوى الضيافة وأخذت أمشي في البيت جيئةً وذهاباً.

كنت أصلي: "**يا ربي لا تتركني**". لكن الشارع كان فارغاً من الناس... عيد الميلاد! شارعنا كان بلا مارّة. فجأة... صوت صرير الثلج تحت الأقدام، فركضت نحو الباب! لعلّ هذا هو ضيفي. لا، مضى عابراً. صار الوقت ظهراً وأنا وحدي، وصرت أبكي وأقول: "**الآن أرى يا ربي بأنك قد تركتني**". وكنت أنتحب وأبكي، وفجأة! ... فجأة هناك من يقرع الباب، وسمعت صوتاً مبحوحاً من أثر الدموع يقول:

"**أعطِ حسنة يا أخ! أعطِ حسنة يا أخت!**.

قفزت مسرعة نحو الباب وفتحته. كان على الباب رجل أعمى واقفاً مع دليله وكانا كليهما يلبسان أسمالاً مهلهلة ويرتجفان. فهتفتُ بفرح:

"**ولد المسيح يا إخوتي!**".

فأجاباني متأثّرين: "**حقاً ولد!**" **تحنني علينا يا أختاه! نحن لا نطلب مالاً، منذ الصباح لم يُعطنا أحد كسرة خبز، فقط بعض النقود والقليل من الرّاكيا** ".

("مشروب كحولي تقليدي" مشهور عند شعوب البلقان.)

أما خبزاً فلم يعطنا أحد ونحن جوعى جداً."

لقد كنت حينها وكأني في السماء، أدخلتهما إلى البيت وأجلستهما على المائدة وصرت أخدمهما وكنت أبكي من الفرح. فسألاني مندهشيْن:

"لماذا تبكين يا أختاه؟".

فأجبتهما:

" أبكي من الفرح يا إخوة، من الفرح النقي والمشرق! لقد أعطاني الرب ما كنت قد طلبت منه، ها أنا منذ عدة أيام أصلي إليه ليرسل لي ضيوفاً مثلكم وها هو قد أرسل. أنتما لم تأتيا هكذا ببساطة إليّ إنما أرسلكما إليّ الرب الصالح، والرب بنفسه ظهر لي اليوم معكما. هذا أسعد عيد ميلاد في حياتي، والآن أعرف: "بأنّ إلهنا حيّ!".

فأجاب ضيفيّ:

"المجد والشكر له! آمين". فأبقيتهما عندي إلى المساء ثم ملأت أكياسهما بالأطعمة وودّعتهما.

هكذا كان عيد ميلاد ربّنا يسوع المسيح بالنسبة

ليوفانكا، ليعطها الرب في هذا العام عيداً أكثر فرحاً. فصلّي أنت أيضاً يا ابنتي من أجل أن يَظهر لك الآب السماوي، فعنده مراحم كثيرة وستكون لك أنت أيضاً أعجوبة. أعدّي نفسك للفرح في هذا اليوم المقدّس ولا تعدّي نفسك للحزن. وإلهنا العارف الكل وأبو المراحم سيصنع لك الفرح.

(الرسائل التبشيرية، رسالة رقم ٩٤)

رسالة إلى عامل يسأل لماذا وُلد المخلّص في مغارة؟

القديس نيقولاوس الصربي

لقد سألتني هذا السؤال منذ زمن طويل لكن اعذرني لأني انتظرت هذا اليوم المبارك لكي أجيبك، عندما تكون كل أفكارنا متوجّهة نحو تلك المغارة التي أشرقت منها للعالم شمس البرّ.

العبرة الأولى :

التواضع هو الفضيلة الأولى التي علّمها المسيح للناس في الموعظة على الجبل. وقد ظهر هو بنفسه مثالاً لهذه الفضيلة بولادته في مغارة للغنم وليس في قصر ملكي.

العبرة الثانية :

العِبرة المهمّة الثانية التي أعطاها الرب للعالم بولادته في مغارة تتلخّص في أنه ضيّق على نفسه ليعطي مكاناً للآخرين والرضا بما هو ضروري ليحصل الآخرون على احتياجاتهم الضرورية. كما قال الرسول الإلهي:

"فإن كان لنا قوتٌ وكسوة فلنكتفِ بهما" *(١ تي ٦ : ٨).*

أليس هذا درس للعالم الحاضر الذي يعيش أزمة؟

العبرة الثالثة :

هناك عِبرة أخرى وهي أن المكان لا يجعل من الإنسان شخصاً مهمّاً، إنما الإنسان يجعل المكان مهمّاً. الإنسان هو القيمة الكبرى على الأرض. الغنى والبريق الخارجي لا يزيدان من كرامة الإنسان كما أن الفقر لا يُنقص منها.

أتعلم ما قاله الرب عن يوحنا المعمدان؟.

"ماذا خرجتم لتنظروا؟ إنساناً لابساً ثياباً ناعمة؟"

(إنجيل متى ١١ : ٨).

الملك **هيرودس** يسكن في القصور ويلبس الثياب الناعمة، لكنه ليس إنساناً بل ثعلب. **وبيلاطس** في خدره ليس بإنسان لكنه ذئب روماني. وهكذا **الفريسيون** ليسوا أناساً ولكنهم أبناء الأفاعي. إنما **يوحنا** الذي لا مأوى له أعظم من هؤلاء الساكنين في القصور، فليس هناك مولود من النساء أعظم من **يوحنا المعمدان.**

العبرة الرابعة :

هناك أيضاً عِبرة أخرى من الرب وهي أن ملكوت السموات أهمّ من كل الأشياء التي في العالم. ويمكن

للإنسان أن يقتني ملكوت السموات بصرف النظر عن مكان ولادته ومكان معيشته، سواء أكان في المدينة أو في القرية أو في الصحراء أو في المغارة. لقد أراد الرب أن يلقن درساً للعالم الذي كان ينتظر أن يشرق النور من المدن الكبيرة وهو أن النور الحقيقي يمكن أن يشرق من مغارة حقيرة. وهذا ما أثبته لاحقاً الكثيرون من النسّاك والشيوخ العظام ومصابيح الروح الحقيقية.

العبرة الخامسة :

وبرأيي الشخصي، هناك سبب مهمّ آخر لولادة المسيح في مغارة. توجد في الأراضي المقدّسة لغاية الآن أربعة جبال كبيرة وهي قائمة منذ أيام المسيح.

+ **الجبل الأول** في بيت لحم حيث ولد المسيح.

+ **والثاني جبل التجربة** حيث جُرّب المسيح من الشيطان.

+ **والثالث جبل الجلجثة** حيث صُلب المسيح وقُبر وقام من بين الأموات .

+ **والرابع جبل الزيتون** الذي منه صعد المسيح إلى السموات.

أربعة من أهمّ الأحداث في حياة المُخلّص مرتبطة بهذه

الجبال الصامدة. لم يبقَ أثر للبيت في الناصرة الذي عاش فيه المسيح ولا في كفر ناحوم حيث سكن ولم يبقَ هناك أي بيت سكن فيه أثناء تجواله، ولا قصر هيرودس ولا دار بيلاطس، ولا حتى هيكل سليمان. كل ما هو مصنوع بأيدٍ بشرية تهدّم مع الزمن ولكن هذه الجبال الأربعة المصنوعة بيد الله لا زالت قائمة إلى الآن.

وذلك لكي لا يشكّ أحد في أن الرب يسوع بالحقيقة وُلد وجُرّب مثل إنسان وصُلب من أجل خطايا البشر وقام من الأموات وبمجدٍ صعد إلى السموات إلى ملكوته الأزلي حيث ينتظر أبراره.

لقد عرف الله قلب الإنسان المتحجّر وأفكار البشر المتقلّبة، لذلك فإنه ربط بحكمة هذه الأحداث العظيمة الأربعة بأربعة جبال صامدة. لو أن المسيح ولد في بيت في مدينة أو قرية فهل كان سيبقى هذا البيت محفوظاً للآن ليشهد لنا على ميلاده؟ حتى المدينة التي ولد فيها ألكسندر الكبير غير موجودة الآن. كما لم يعد هناك الكثير من المدن والممالك التي ولد فيها أناس عظماء، أما مغارة المسيح المقدّسة في بيت لحم فهي موجودة وقائمة وتشهد.

واعلم هذا أيضاً: فكما أن جسد المسيح الذي هو "**بيت لروحه**" ليس من إنسان وإنما من الروح القدس، هكذا أيضاً مغارة بيت لحم التي هي "**بيت لجسده**" ليست من صنع أيدي البشر إنما هي من الله الخالق المدبّر. فهو خلقها قبل الإنسان وهيّئها لتكون مكاناً لميلاده حين يأتي ويزور ذرية آدم وحواء. وأيضاً لكي تكون شهادة أبدية عن حضوره إلى الأرض.

فلا تندهشن بأن الرب قد اختار مكاناً فقيراً كهذا لميلاده، فكل ما هو عالٍ عند الناس هو رذيل أمام الرب. لقد كان قصر القيصر في روما رذالة أمام الرب لأنه بالفعل كان مغارة للصوص والفجور والتعدّي. وكل ما هو حقير ومزدرى في نظر الناس غالباً ما يختاره الرب ويمجّده. إنها طريقة عمل الله الكلي الحكمة. هكذا اختار صيادي السمك ليكونوا رسلاً وهكذا اختار المغارة مهداً له.

(الرسائل التبشيرية، رسالة رقم ٩٧)

لماذا نهنئ بعضنا البعض بعبارة "وُلد المسيح!"
القديس نيقولاوس الصربي

عندما نهتف: "**وُلد المسيح!**"، فهذا يعطي المعنى نفسه كما لو كُنّا نهتف: "**ولد الميسيّا**" أو "**ولد الملك!**" أو "**ولد المخلّص!**". بهذه التحية نحن نؤكّد ونشهد أمام بعضنا البعض بأنه قد أتى إلى العالم ذاك الذي ينبغي له أن يأتي من أجل خلاص البشر، ونحذر بأننا لم ننتظر أحداً آخر غيره. قد حضر ذاك الذي وعد به اللّه الآب أبوينا المطرودين من الفردوس، وذاك الذي تهجّست وتوقعت حضوره قبائل وشعوب الأمم وتنبّأ عنه أنبياء اليهود، وذاك الذي انتظرته البشرية العاجزة بتنهّد واشتياق على مدى آلاف السنين، الذي أشرق على الأرض كالشمس بعد ليلة مظلمة وطويلة. وهكذا فعندما نهتف: "**ولد المسيح!**" فإننا نشهد بأن العليّ قد وفى بوعده وبأن نبوءات الأنبياء وتوكّلات البشر قد تحققت وفي لحظة حلّ الفرح محلّ حزن قرون عديدة مضت.

+ ولد الميسيّا العجيب، **وهو إله وإنسان في آن واحد**، لتتعزّى به أنظار البشرية المنهكة ولن تعاين آخر غيره.

+ ولد الملك القوي، الذي يحمل عصا القوة وقنديل

الرحمة في آن واحد، لينتعش السقماء العُجّز ويهتفوا قائلين: **نحن أبناء الملكوت!.**

+ وُلد الفارس المنتصر، ليدافع عن الأبرار ويردّ الخطأة ويُسقط أرواح الهواء الشريرة.

+ ولد الدليل البصير، ليرشد التائهين ويقودهم.

+ ولد المنوّر المضيء، ليطرد الظلمة ولينوّر الذين أظلموا.

+ ولد الراعي الكثير العناية، لينقذ القطيع من الذئاب ويأتي به إلى حظيرته.

+ ولد المُغذّي الكريم، ليُشبع الجوعى ليس بخبزٍ أرضيٍ لكن بجسده الإلهي السماوي وبدمه المُلهب.

+ ولد محبّ البشر الوحيد، ليضمّ إلى صدره وليحيي بمحبّته أولئك اليتامى الذين تشرّدوا طويلا بين حفرة الحياة وحفرة الموت.

+ ولد الفاتح الأعظم، ليسحب الحجاب وليفتح للموتى باب الملكوت السماوي الخالد.

كل هذه المعاني موجودة في العبارة العجيبة التي يحيي المسيحيون بعضهم البعض بها في فترة الميلاد والتي أنا أيضاً أحييكم إخوتي بها وأقول: "ولد المسيح".

(الرسائل التبشيرية، رسالة رقم ٩٠)

حياة البار نيقولاوس الصربي (نيقولاي)

❖ ولد **القدّيس نيقولاي** فجر ٢٣ كانون الأوّل عام ١٨٨٠، لوالدّين تقيّين، في ضيعة صغيرة، اسمها ليليش جنوب غرب فالجيفو.

❖ عندما أنهى نيقولاي الصّفّ السّادس، في مدرسة فالجيفو، قدّم طلباً للالتحاق بالمدرسة العسكريّة. إلا أنّه لم ينجح في الامتحان البدنيّ لأنّه كان، بحسب لجنة اللّياقة البدنيّة، صغير البنية، كان هذا، دون أدنى شكّ، تدبيراً إلهيّاً، شاء به الرّبّ الإله أن يقود نيقولاي في مسيرة مختلفة، ويجعل منه جنديّاً في الملكوت السّماويّ، وفور صدور قرار المدرسة العسكريّة، قدّم نيقولاي طلباً للدّخول إلى معهد القدّيس سابا في بلغراد، حيث قُبل كطالبٍ.

❖ وفي ٢٠ كانون الأوّل ١٩٠٩، شُرطن نيقولاي راهباً وأُعطي اسم شفيعه القدّيس نيقولاي، وفي اليوم عينه، صُيّر كاهناً.

❖ في صيف ١٩١٤، نشبت الحرب العالميّة الأولى، ودخلت شبه الجزيرة البلقانيّة دائرة الاضطرابات. كانت الدّولة الصّربيّة بحاجة ماسة إلى قائد يساعدها على تخطّي هذه الأزمة الدّوليّة. ولهذا الهدف بعثت بالأرشمندريت نيقولاي ضمن بعثة ديبلوماسيّة رسميّة إلى إنكلترا للحصول على دعم الدّولة البريطانيّة للشّعب الصّربيّ.

❖ انتخبته الكنيسة الصّربيّة الأرثوذكسيّة أسقفاً على زيخا وهو الكرسيّ التّقليديّ لرئيس أساقفة صربيا. كان عمره حينئذ٣٩ سنة.

❖ عام ١٩٤١، احتلّت القوّات الألمانيّة يوغسلافية واعتقلت الأسقف نيقولاي مع البطريرك جبرائيل دوزهيش وأودعتهما معتقل داشو في ألمانيا. عُرف هذا السّجن بعدم إنسانيّته. أمضى نيقولاي فيه سنتين عانى خلالهما أشدّ التّعذيبات الّتي يمكن أن يحتملها إنسان. وقد نسب نجاته من هذه المحنة الصّعبة إلى والدة الإله فكتب لها في السّجن "**القانون الابتهالي وصلاة لوالدة الإله الكليّة القداسة**" بالإضافة إلى مؤلّف عن يوميّاته في السّجن. في ٨ أيار ١٩٤٥، أُطلق سراحه بفضل الفيلق الأميركيّ.

❖ بين العامين ١٩٤٦ و١٩٤٩، علّم المغبوط نيقولاي الدّائم الوفاء لبلده في معهد القدّيس سابا في ليبرتيفيل في إيلينوي. أيقن نيقولاي أهميّة نقل التّعليم الأرثوذكسيّ باللّغة الإنكليزيّة للصرب الّذين ولدوا في أميركا فنشر عدداً من مؤلّفاته الدّينيّة باللّغة الإنكليزيّة. وآخر كتاب كتبه كان **سيرة القدّيس سابا.**

❖ في ١٨ آذار ١٩٥٦، رقد الأسقف نيقولاي في قلايته الوضيعة في دير القدّيس تيخون. يروي الأب أفنازي رقاده كالتّالي: قام الأسقف بخدمة القدّاس الإلهيّ في يوم السّبت الواقع فيه ١٧ آذار. كل شيء كان غير اعتياديّ وجميل. بعد القدّاس ذهب إلى

غرفة المائدة حيث كان الرّهبان جالسين. وبعد حديث قصير، ضرب مطّانيّة صغيرة وتمتم ثلاثة مرّات: "**اغفروا لي، يا إخوتي**"، ثمّ خرج. هذا كان حدثاً مميّزاً إذ لم يسبق له أن قام بشيءٍ مماثلٍ من قبل. صباح الأحد أتى الأب فاسيلي ليفتقده في قلايته، قرع الباب وإذ لم يحصل على جواب، دخل فوجده **راقداً في وضعيّة الصّلاة ساجداً**. رقاده كان بين السّابعة والثّامنة صباح هذا اليوم. وقد بلغ من العمر ٧٦ سنة. جرى دفنه في دير القدّيس سابا الصّربيّ في ليبرتيفيل في الجانب الجنوبيّ لكنيسة الدّير.

❖ ثمّ في ٢٧ نيسان ١٩٩١، نُقلت رفاته إلى صربيا إلى دير شيليجي في ضيعته في ليليش قرب مقبرة القدّيس يوستينوس بوبوفيتش (+ ١٩٧٩). غرفته في دير القدّيس تيخون تحوّلت إلى مزار حيث يأتي النّاس للتّبرّك والصّلاة.

❖ قال عنه تلميذه القدّيس يوستينوس بوبوفيتش عام ١٩٦١ في الذكرى الخامسة لرقاده في الرّبّ:

شكراً، يا ربّ، لأنّ عندنا رسولاً جديداً! شكراً، يا ربّ، لأنّ عندنا إنجيليّاً جديداً! شكراً، يا ربّ، لأنّ عندنا معترفاً جديداً! شكراً، يا ربّ، لأنّ عندنا شهيداً جديداً! شكراً، يا ربّ، لأنّ عندنا قدّيساً جديداً!.

❖ أُعلنت قداسته في ١٩ أيار ٢٠٠٣. تُعيّد له الكنيسة الأرثوذكسيّة في ١٨ آذار و٢٧ نيسان.

هكذا كانت قيامة المسيح، وهكذا ظهر نور العهد الجديد الذي أنار لذوي العقل العالم الروحاني. وكما أنّ النور المنظور للمسكونة كشف للأبصار العالم المادّي، هكذا كشف نور المسيح لكلّ العاقلين العالم الروحاني ووطن الملائكة الغير المائتين.

لذلك النور الحسّي ليس أسطع من النور الروحانيّ، وكلّ منهما ظهر بلا صوت وفي لحظة بإرادة الخالق الكلية القدرة وبرحمته ومحبّته التي لا يُنطق بها.

القديس نيقولاوس الصربي

(الرسائل التبشيرية، رسالة ٢٤)

التراث السلافي الأرثوذكسي

Al Jabal